رسالة الغفران	أبو العلاء المعرّي	مع الأعشى	4 آذار 2013	يوسف بن موسى

التقديم : النصّ فاتحة المقطع القصصيّ الثالث (3) الموسوم بالنزهة. وقد سُبِقَ هذا النصّ بمقطع قصصيّ ثان (2) (مجلس المنادمة الأول) قام فيه البطل (ابن القارح) بعقد مجلس منادمة وأدب تتم فيه المذاكرة (أيام العرب وأشعارهم) والمنادمة (اللعب وقذف الأواني في الأنهار) حضره أشهر علماء اللغة والنحاة مثل سيبويه والكسائي وثعلب والمبرّد وأبو الأسود الدؤليّ، ورواة الشعر مثل الأصمعي والمفضّل الضبيّ وعمرو بن العلاء والعروضيّون مثل سعيد بن مسعدة المجاشعيّ وغيرهم.

وتذاكر الجماعة بعض الشعر والأخبار وهشت نفوسهم للّعب فجعلوا يقذفون الآنية (آنية الشراب) في أنهار الرحيق فيصفّقها الماذيُّ أيّ تصفيق وترسل الآنية أصواتا تذكر ابن القارح بقصيدة حائية للأعشى يصف فيها مجلس خمر ويصف الخمرة وبين الزقاق والإبريق والقدح ويتحسّر على عدم وجود الأعشى وإلاّ كان ابن القارح تمتع بمنادمته ومحاورته وعلى هذا انغلق المقطع القصصيّ الثاني.

ثم عنّ لابن القارح أن يقوم بنزهة في الجنة فكان أوّل هذه النزهة لقاء الأعشى.

العلاقة بين المقاطع القصصيّة:	1. المقطع القصصيّ الأول **سكون أصليّ**: وظيفته تأطير الرحلة بوصف المكان (الجنة) وتأثيثه بذكر عناصره (شجر في ظلّه ولدان مخلّدون وفي أصوله أنهار من عسل ولبن ورحيق وماء الحيوان وخمر ثم وصف أنهار الخمرة ووصف الأباريق وأنهار العسل ثم وصف السملك السابح في هذه الأنهار. 2. المقطع القصصيّ الثاني **سكون أوّل**: وهو مجلس المنادمة الأوّل. فيه الشخصية ثابتة في المكان (مجلس). 3. المقطع القصصيّ الثالث **الحركة الأولى**: النزهة وهو أوّل الحركة وأوّل النزهة وأوّل السرد.

الموضوع: نزهة ابن القارح في الجنّة على غير منهج فلقاؤه الأعشى الذي يروي للبطل قصّة شفاعة النبيّ له.

المقاطع:

ينقسم النصّ إلى مقطعين رئيسين وَفقَ **نظام الفواعل:** I. **المقطع الأول:** من البداية إلى جرزة البقل: ابن القارح منفردا: **النزهة** الاستطراد 1: شرح معجمي لكلمة الحباق II. **المقطع الثاني:** بقيّة النص : **اللقاء بين ابن القارح والأعشى** ويتفرع إلى مقطعين جزئيّين : 1. القصّة الأصلية/ الإطار:من بداية اللقاء إلى آخره حوار بين ابن القارح والأعشى 2. القصّة الفرعية/ المضمّنة: من"سحبتني " إلى " أدخلت الجنة " : قصة الشفاعة الاستطراد 2 : اهتمّ فيه المعري برواية البيت الأخير من مدحيّة الأعشى في الرسول(ص) وما فيها من اختلاف	ينقسم النصّ إلى مقطعين رئيسين وَفقَ **ثنائيّة التضمين والتأطير:** I. **المقطع الأول:** من البداية إلى " الشنار " **القصّة الإطار/ الأصليّة** ونظفر فيها بمقطعين جزئيّين حسب معيار الفواعل : 1. من البداية إلى "جرزة البقل" ابن القارح منفردا: **النزهة** 2. ابن القارح والأعشى مقطع **اللقاء والحوار** الاستطراد 1: شرح معجمي لكلمة الحباق II. **المقطع الثاني:**بقيّة النص:**القصّة الفرعيّة/المضمّنة** قصّةغفران الأعشى. الاستطراد 2 : اهتمّ فيه المعري برواية البيت الأخير من مدحيّة الأعشى في الرسول(ص) وما فيها من اختلاف

ينتظم المقطعان وَفقَ علاقتان :

- تتابع زمني (نزهة بعدها لقاء. وتتابع سببّي (إنشاد أدّى إلى ظهور الأعشى وظهور البطل.
- علاقة التضمين: عند كلّ لقاء يسأل ابن القارح " بما غُفِرَ لك " فإذا هذا السؤال قادح لظهور قصّة مضمّنة تولّد من رحم القصّة الإطار.

←تتحوّل أحد شخصيّات القصّة الإطار إلى راوي للقصّة المضمّنة(الأعشى) وينسحب الراوي الأصلي الخفي(المعري) ليقوم الأعشى بمهمّة الرواي

رسالة الغفران	أبو العلاء المعرّي	مع الأعشى	4 آذارا 2013	يوسف بن موسى

← تنوّع درجات السرد من **سرد ابتدائيّ من درجة أول** إلى **سرد ثانوي من درجة ثانية**.

← يتحول السرد من سرد **استباقيّ** معقود على التقدير (إن شاء الله) إلى سرد **استرجاعيّ** تتذكّر فيه الشخصيّة قصّة غفرانها ودخولها الجنّة.

الشرح المفصّل:

I. **المقطع الأوّل : النزهة :**

ينفتح النصّ بحرف الاستئناف **(ثمّ)** وهو نحويّا يدل على الجمع مع التراخي مما يكشف قصديّا عن تتابع غير سريع للأحداث وهذا طبيعيّ باعتبار الفجوة الزمنيّة الحاصلة بين **مجلس المناحمة الأول**(المقطع القصصيّ 2) **والنزهة** (المقطع القصصيّ 3) ← فإذا العلاقة بين المقطعين القصصيّين الكبيرين علاقة **انضمامية** دليلها حرف الاستئناف **(ثمّ)** وكذلك الفعل الافتتاحيّ **(يخطُرُ)** وهو فعل رغبة تتولّد عنه نزهة البطل بكل فصولها ولقاءاتها وأحداثها.

العلاقة بين هذا المقطع (النزهة) والمقطع الذي سبقه (مجلس المناحمة الأوّل) علاقة استئنافيّة (محض تتابع زمنيّ) ومما يؤكد ذلك نشوء الحركة القصصيّة من فعل الخاطر وما يحمله من دلالات الاعتباط وانتفاء الصلة المنطقيّة والسببيّة.

- ✓ المقطع **سرديّ** تتواتر فيه **أربعة الأفعال ("يخطر" /"يركب" /"يسير" /"إذا رأى" "رفع")** تبني أربعة وظائف سرديّة وهي (الخاطر والركوب والسيّر والإنشاد) تترابط هذه الأفعال وفق التحوّل من **الحركة الباطنيّة** "يخطر" إلى **الحركة المادية** " يركب ويسير "، ومن حكاية **الأفعال** "يركب...يسير" إلى حكاية **الأحوال** (رفع صوته متمثلا بصوت البكريّ).

← يحكم السرد نظام التتابع السببيّ : (خاطر فركوب فسير فنشوة فغناء) كشفت ذلك "فاء السببيّة" التي تكرّرت مرتين (يخطر... فيركب ... فيسير ...)

- ✓ يُخْتَرَقُ السردُ **بالوصف** وقد تعلّق الوصف بـ :

▪ وصف فضاء النزهة=المكان:(كثبان العنبروضيمران وُصِلَ بصعبر)	▪ **التحويل** : بتحويل النادر النفيس إلى شائع كثير: ياقوت منه بعير والعنبر منه كثبان
▪ وصف الأشياء : نجيبه من درّ–إناءُ فيهِ – شيءٌ من طعام الخلود. يعتمد الراوي الخيال ويميل به إلى التعجيب و يبدو ذلك في :	▪ **التركيب** : تحويل مادة الأشياء بالجمع بين المتنافرات والتوليفة بينها كالجمع بين الكثبان والعنبر والجمع بين النجيب والدرّ.

ينهض الخيال العجيب بوظائف أهمّها :	✚ **وظيفة إمتاعيّة** : حين ينشئ أبو العلاء عالما مغايرا تتلذّذ النفوس بتصوّره فتحقّق بذلك لذّة القصّ. ✚ **وظيفة فنّيّة** : خلق التناسب بين الشخصيّة في رغباتها وبين فضاء إنجازها: شخصيّة طالبة للذة فتجابه لها، فالفضاء متخم باللذة والحسّ والبطل شهوانيّ متكالب على اللذة، فكأنّ المعري يورّط شيخه حين يزجّ به في هذا العالم العجيب فتنشأ **السخرية بالحركة وبالموقف وبالقول** . ✚ **وظيفة نقديّة** : إنّ هذا التصوّر الخيالي الذي جعل الجنّة فضاء للذة فيه تعريض بما شاع عند العامة من تصوّرات مادية (عقيدة المدرسة الظاهريّة في الإسلام التي تفهم القرءن على ظاهره) للجزاء الإلهيّ وهو تصوّر يجعل الجنة فضاء تعويض للحرمان ويتجاوز هذا التعريض العامة ليصل إلى ابن القارح فإذا المعري يسعى إلى فضح شيخه حين هيّأ له أنواع اللذّة ثم تركه يخبط في الجنّة على غير منهج معربدا مناحما مخاصما سائلا متطفّلا متهالكا على اللذة.

رسالة الغفران	أبو العلاء المعرّي	مع الأعشى	4 آذار 2013	يوسف بن موسى

3

← وسم الراوي حركة ابن القارح بأنّها "على غير منهج" فجاء القصّ محكوما بمبدأ الصدفة، فالمصادفة هي التي تحكم لقاءات ابن القارح ومناظراته وبالصدفة يتطوّر السرد ويتنامى وهذه خصائص السرد في القصّ العربيّ القديم. ← قام السرد وفق اللقاءات المتعاقبة والمتراكمة وهذا ما يتلاءم مع :

- هيكل الرحلة المنفتح والمرن: منفتح على لقاءات متعدّدة وأماكن مختلفة وأصوات متنوّعة.
- يتلاءم مع صورة الفضاء الأخرويّ (المكان) كما شكّلها الراوي في وضع البداية (السكون الأصلي).
- طبيعة البطل فهو بطل الرغائب المتنوّعة والشهوات المتعدّدة ولذلك ستكون نزهته حركة فوضى من أجل تحقيق الإشباع المنشود.
- فضاء حجب وإخفاء مما يتيح فجائية اللقاءات بين البطل وأهل الجنة وخاصة يساهم في ظهور الشخصيات صوتا قبل ظهورها صورة وهو ما يحقق التشويق ويساهم في العبث بابن القارح.

في علاقة الشعر بالقصّ: ساهم الشعر في هذا النصّ في إنشاء اللوحة القصصيّة:

	رحلة ابن القارح	رحلة الأعشى في
الراحلة	نجيبة من درّ	ناقة
حركة الراحلة	النجيبة يملعُ	الناقة تخبّ
الشرابه	معه إناء فيه	زكرة
الطعام	طعام الخلود	خبز رقاق وحباق وسمك
فضاء الرحلة	(الجنة)كثبان من عنبر/ وخيمران وحل بصعبر	(الصحراء الارض) العذيب/ الصيبون (مواضع في العراق)
عالم الرحلة	عالم الجنة السرمديّ الخياليّ	عالم الدنيا الأرضيّ الواقعيّ
جنس الكتابة	النثر(السرد/القص)	الشعر

- مشهد ابن القارح متنزها على راحلته استهلّه المعري من بيتيّ الأعشى فأدوات الرحلة (خمر وطعام) وفضاؤها (كثبان) وراحلتها (نجيبة) تتماثل وبيتي الأعشى : هكذا تتولّد النزهة من الشعر الذي هو سابق في الزمان.
- الأمر يتجاوز الشعر إلى مأثور النصوص كلّها من قرآن (توليد صورة الحشر والجنة والجحيم، من آيات الوعد والوعيد) والأخبار والسير (تشكيل هيئة الشخصيات ونسبهاوصفاتها من خلال كتب السيرة والأخبار) وكذا الشأن مع الأساطير (الأساطير والخرافات الجاهليّة: جنّة العفاريت مثلا) والأحاديث (تصوّر الشخصية الدينية).
- قصص الغفران متولّدة جميعا من نصوص راسخة في الذاكرة الثقافية العربيّة الإسلاميّة.
- إنّ حضور الشعر والقرآن والأخبار والسيَر يتجاوز مجرد الاقتباس البلاغيّ ليصير نسجا لنصّ قصصيّ من خيوط مختلفة هكذا "الغفران" نص مفرد بصيغة الجمع (كرنفال بالمفهوم الباختيني/ أو تناص بمفاهيم جوليا كرستيفا وجيرار جينات).

← فعل النزهة فعل قصصيّ جامع ملائم للهيكل الذي تخيّره أبو العلاء للقصة، وهيكل الرحلة المتّسم بالمرونة والانفتاح والذي يتوفّر على قابليّة لاحتواء ما يريده القاصُّ من أحداث ومواقف وهو شبيه بمغامرات السندباد البحريّ في ألف ليلة وليلة.

II. المقطع الثاني: اللقاء

1) القصّة الأصلية/ الإطار: من بداية اللقاء إلى آخره حوار بين ابن القارح والأعشى

تتطوّر المواقف القصصي من النزهة إلى اللقاء	تدرّج ظهور الأعشى فقد حضر **ذكرا** حين ذكره ابن القارح وتمنى حضوره مجلس المناذمة (آه لصرع الأعشى ميمون وكم أعمل من مطيّة أمُون ... ولو أسلم لجاز أن يكون بيننا في هذا المجلس) ثم حضرا **شعرا** حين (رفع صوته متمثلا بقول البكري) وإمعانا في التشويق يحضر الأعشى **صوتا** هاتفا (فيهتف هاتف) ومن المسموع يتحوّل إلى **المنظور** (فإذا هو شاب غرانق غير في النعيم المفانق)

← هكذا تطوّر الفعل القصصيّ من الظهور إلى التعرّف وتدرّج ظهور الشخصية من الأمنية إلى الحضور المعنوي (شعره) إلى الصوت إلى المنظر

← هذا النموّ له وظيفة تشويقيّة إذ التدرّج من الغموض والتخفّي إلى الظهور والتعرّف يلائم الفضاء العجيب بكثبانه وشجره الكثيف أو العكس فضاء العجب والإخفاء والاتساع يناسب حركة الشخصيات و نمو السرد.

بناء شخصيّة الأعشى:

التاريخي والمرجعيّ	القصصي المتخيّل
الواقع	الخيال
دار الدنيا	دار الآخرة
شيخ	شابّ جميل
الانحناء	الاعتدال
أعشى	أحور

*شخصيّة الأعشى ذات مرجع ثقافيّ تاريخيّ استند أبو العلاء إلى الذاكرة الثقافيّة في خلقها وبنائها فقد استثمر كتب الأنساب وأخبار الشعراء وسيرهم ومجاميع الشعر فذكر نسب الأعشى وشعره وهيئته. ←يستثمر أبو العلاء نصوصا عديدة في بناء الشخصيّات. ←لم يحافظ المعري على الصورة المعروفة للأعشى بل حوّلها فقلب عشاها حورًا وانحناء ظهرها اعتدالا وذلك ضرب من **الخيال التحويليّ**. إنّ تحويل شخصيّة الأعشى اقتضته **غايتان**:

الأولى فنيّة: تتصل بمقتضيات التعجيب إذ كان لابد أنْ تتلاءم الشخصيّات مع الفضاء العجيب: فضاء خياليّ يتسم بالجمال والكمال في مكوّناته وأحداثه وشخصيّته.

والثانية فكريّة نقديّة : يكشف تحوّل العاهات إلى محاسن عن سخرية خفيّة مما شاع في العصر وراج في المِصْرِ من اعتقاد يجعل الجنّة مجال **تعويض** وفي ذلك موقف **عَلائيّ** عقليّ يسخر من هذا الفهم الشائع ويعرّض به.

← يمثّل اللقاء بالأعشى أوّل اللقاءات بعد لقاء البطل بعلماء النحو والشعر في مجلس المناحمة ← انبنى قسم الرحلة على تعدّد اللقاءات بالشعراء والأدباء فإذا جنّة الغفران جنّة أدبيّة.

إنّ الغاية من هذه اللقاءات هي أساسا:	• فضح البطل وكشف جهله وقصوره الأدبيّ وتملّقه لأهل الأدب (لاحظ احتفاء ابن القارح بالأعشى وما فيه من تقرب وتملّق.) • رغبة المعريّ في التواصل مع الموروث الأدبيّ ونصوصه والخوض في قضايا النقد الأدبيّ (نقد الرواية والصدق في الشعر) • قضيّة الرواية وانتحال الشعر : أثبت المعري على لسان ابن القارح سندا احتوى سلسلة طويلة من الرواة ويبدو المعري بذلك ساخرا مشككا في قضايا رواية الشعر والانتحال إذ رغم طول سلسلة السند إلاّ أنّ حلقتها الأولى جاءت غامضة (حدّثنا أهل ثقتنا عن أهل ثقتهم ...)

2) **القصّة الفرعية/ المضمّنة: من"سحبتني " إلى " أدخلك الجنة " : قصة الغفائة**

قصة غفران الأعشى ودخوله الجنّة : تولد القصّة المضمّنة من رحم القصة الاطار ويكون قادحها دائما سؤال الغفران (بما غُفِرَ لك). يقول ابن القارح مستخبرا: (أخبرني كيف كان خلاصك من النار وسلامتك من قبيح الشنار؟)

إنّ للقصة المضمّنة علاماتها المميّزة	• تحوّل الخطاب من الغائب (فإذا **هو** بشابّ غرانق) إلى المتكلّم (سحبتني الزبانية إلى سقر). • تحوّل في الرواة من راوي خفيّ من درجة أولى إلى راوي معلوم من درجة ثانية إذ تنقلب إحدى شخصيات القصّة الأطار إلى راوي للحكاية. • تحوّل في درجات السرد: من سرد **ابتدائي/ درجة أولى** يقوم به المعري، إلى سرد **ثانوي/ درجة ثانية** يقوم به الأعشى، إلى سرد/ **درجة ثالثة** يقوم به علي بن أبي طالب (ك) • تحوّل في أنواع السرد: من سرد **استباقيّ** معقود على التقدير (إن شاء الله) إلى سرد **استرجاعي** يتذكر فيه الأعشى قصّة والحساب والغفران. • تحوّل في المكان من الجنّة إلى المحشر. • تحوّل في الزمان من الآن زمن النعيم والجزاء إلى الماضي زمن الحشر.

← تتوالد القصص من الغفران فكل لقاء تولد منه قصّة مضمّنة ولكل سكان جنة المعري قصصهم وجنتهم الخاصة حتى الأفاعي وأسود القاصرة لهم قصص.

← إنّ التضمين والتأطير يذكي التشويق ومتعة التقبّل حين تنقلب الحكاية حكايات.

نسج أبو العلاء أحداث القصة في بناء ثلاثيّ يستعيد النمط القصصيّ القديم إذ تبدأ القصّة بوضع البداية/ الهدوء (سحبتني الزبانية) فسياق التحوّل/ اختلال التوازن (وأنا أعتل) إلى السعي إلى إعادة التوازن (الاستغاثة بمحمد(ص))وصولا إلى (التوازن الفريد) وهو الدخول إلى الجنة.

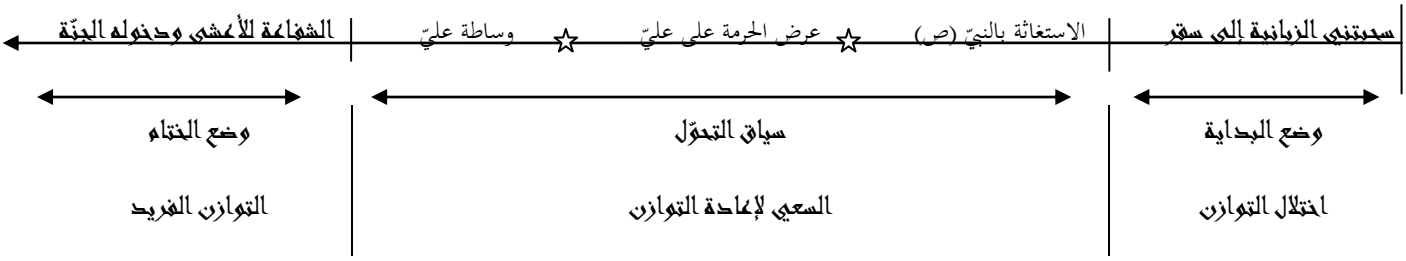

في قصة غفران الأعشى نفس ساخر من مظاهره :

- المفارقة بين القول والفعل : فدخول الجنّة تم بفضل قول لا يدعمه العمل.(الاستهزاء بأفكار المرجئة الذين يقولون "لا تضر مع الإيمان معصية").
- المفارقة بين المقام والمقال: فالمقام مقام قداسة وهول والسلوك سلوك دنيويّ يقوم على الوساطة والتملّق والمحاباة (نقد معتقدات الناس وخاصة معتقدات الشيعة *الدولة الفاطمية الإسماعيليّة الشيعية الحاكمة آنذاك في مصر والشام* الذين يقولون بوجود شفاعة تسبقها وساطة من آل البيت).

←المفاجأة حين تمكّن الأعشى ممّا بدا بعيد المنال ولعل أبا العلاء كان متفطّنا لهذه المفارقة بين حقيقة الشخصيّة وجزائها فحاول تلطيف ذلك باشتراط أن يحرم الأعشى من الخمر في الجنّة.

رسالة الغفران	أبو العلاء المعرّي	مع الأعشى	4 آذارا 2013	يوسف بن موسى

6

الاستطراد: هو الرجوع بالنصّ إلى جنسه الأصليّ وهو الترسّل وموضوع الاستطراد أقوال في بيت الأعشى ويوثق لروايته بذكر صاحبها (حكى الفراء) = منهج مادي عقليّ فيه تمحيص للرواية

وظائف الاستطراد:	▪ فنيّة: قطع السرد تأكيدا للتشويق ▪ تعليميّة تربويّة: إفادة المتقبّل بما استقر في حافظة أبي العلاء من معارف. ▪ نقديّة ذكر راي أبي العلاءفي بعض الروايات

جنّة أبي العلاء جنّة غفران وأدب.

فنيّا	مضمونيّا
▪ يعتمد الراوي الخيال ويميل به إلى التعجيب باعتماد التحويل والتركيب. ▪ تحوّل في الرواة من راوي خفيّ من درجة أولى إلى راوي معلوم من درجة ثانية إذ تنقلب إحدى شخصيات القصّة الاطار إلى راوي للحكاية. ▪ السرد في النص درجات :من سرد **ابتدائي/ درجة أولى** إلى سرد **ثانوي/ درجة ثانية** إلى سرد من **درجة ثالثة** ▪ تحوّل في أنواع السرد: من سرد **استباقيّ** سرد **استرجاعي** ▪ تتوالد القصص من الغفران فكل لقاء تولد منه قصّة مضمّنة ولكل سكان جنة المعري قصصهم وجنتهم الخاصة بهم حتى الأفاعي وأسود القاصرة لهم قصص. ▪ إنّ التضمين والتأطير يذكي التشويق ومتعة التقبّل حين تنقلب الحكاية حكايات ▪ في قصة غفران الأعشى نفس ساخر من مظاهره : المفارقة بين القول والفعل : فدخول الجنّة تم بفضل قول لا يدعمه العمل والمفارقة بين المقام والمقال: فالمقام مقام قداسة وهول والسلوك سلوك دنيويّ	▪ فضح البطل وكشف جهله وقصوره الأدبيّ وتملّقه لأهل الأدب/ احتفاء بالأعشى وما فيه من تقرب وتملّق. ▪ رغبة المعريّ في التواصل مع الموروث الأدبيّ ونصوصه والخوض في قضايا النقد الأدبيّ ▪ قضيّة الرواية وانتحال الشعر(نقد الرواية والصدق في الشعر) ▪ (نقد معتقدات الناس وخاصة الشيعة في عهد الدولة الفاطمية الإسماعيليّة الشيعية الحاكمة آنذاك في مصر والشام* الذين يقولون بوجود شفاعة تسبقها وساطة من آل البيت)(الاستهزاء بأفكار المرجئة الذين يقولون "لا تضر مع الإيمان معصية").